سهولته المفترضة : فهذه السهولة توحي بالقدرة على استيعابها مع ان هذا الاستيعاب هو احد اعقد الامور في بنية الشعر ، لانه ينقل هذه البنية الى التعدد ، والتعدد لا يمكن ان يكون وحيد الجانب . من هنا فهي تستدعي تعددا آخر وبنية مختلفة . هي بنية القصيدة التي تمتزج فيها الاصوات ، ولا تتكىء على شكل من اشكال المخاطبة . اما الاطار الثالث للمصطلح الشعري في هذه المجموعة فهو **الصورة الشعرية** . طبعا يمكن دراسة الصورة الشعرية بشكل مستقل ، لكننا سنأخذها هنا بوصفها جزءا من كل . فلنأخذ ثلاثة امثلة على الصورة الشعرية في المجموعة : (شرفة الحلم) (طفح الحزن) (حقول البكاء) . تنتمي هذه الصور الى نسق واحد . هو النسق المباشر . تفترض علاقة بين اشياء لا علاقة لها ببعضها مبدئيا . لكنها تبقى صورا مستقيمة .

أي لحظات داخل القصيدة . فلا وجود هنا ، للصورة الشاملة التي تعيد بناء القصيدة بوصفها جزءا منها .

الفجيعة والبنية الشعرية . لا تزال التجارب الشعرية الجديدة عاجزة عن اختراق المصطلح الشعري الذي جرت صياغته من قبل « الرواد » . فلا يزال هذا الشعر في اغلبه ينوع على موضوعات سابقة ، بلغة شعرية تفترض امامها نموذجا . والقيسي عندما يحاول الوصول الى فجيعتنا ، لا يقيم لهذه الفجيعة لغتها الخاصة . ينوع داخل حقل المدى الفلسطيني الذي اعطى الكثير في ثقافتنا المعاصرة . لكن الشعر حين يريد ان لا يكون مجرد صدى ، لا يستطيع التخطي الا عبر لغة جديدة ، تبررها بل تفرضها ممارسة مختلفة هي ممارستنا الفلسطينية في السنوات العشر الاخيرة .

حول القصة الجديدة

تطرح رواية الشاعر يوسف الصائغ «المسافة» مسألة الشكل الروائي بشكل حاد وحاسم . فهي ليست استكمالا لمحاولة دمج الرواية بالشعر ، او ليست محاولة لاستعارة بنية القصيدة داخل الرواية . انها تدمر الشكل الروائي بشكل وحشي ولا شاعري فعشوائية العناصر التي تقوم بدمجها — المسرح . السينما ، السرد ، المونولوج ، الحجم — تفرض شعورا حادا بالغربة . هنا نعثر على محاولة جدية للانتماء الى الرواية الجديدة . لكن قراءة ثانية لهذا العمل ، تجعل من العشوائية المفترضة ضوابط صارمة لتجربة حقيقية تبعثر الشكل وتضغط اللحظة السيكولوجية الى اقصى الدرجات . فيتحشرج « البطل » لحظة الخطيئة الاولى ، ويسدل الستار على تداع من نوع خاص تفرضه شهوة الحياة وقد لبست ثوب الجلاد .

تبدأ الرواية ببعثرة هائلة . مجموعة من العناصر (من ضمنها البطلان : هو والبطل) تأتلف وتتمايز داخل حقل شاسع ، يسمح للانفعالات بالوصول الى اقصى درجاتها . ويدخل ايقاع العناصر — المطر بشكل خاص — بوصفه حلقة من توازيات الفعل البشري . يمتد لتفتح للبداية مداخلا عدة لشكل التبلور في الرواية . ثم يبدأ المدى يضيق. يتحول المسرح الى حالة ، والسيناريو الى اطار وصفي ، حتى نصل الى حلقة ضيقة يجتمع فيها رجلان وحولهما المأساة والموت . تصبح المداخل مجرد كوى يمكن الاطلال منها ، لكن الحالة تتوحد في سياق محدد بخط مستقيم يوحد الرجلان في محاولة بسيطة وواضحة هو البطل . وتبدأ الدلالات بالتراجع لتحصر نفسها ضمن اشكالية واحدة للقراءة . فالرواية لا تتعدد . وتضيق حتى العودة الى بداية جميلة مرعبة . اذا اردنا تبسيط الرواية نستطيع ان نقول انها تحاول ان ترسم حالة الخائن وحالة « البطل » حين يتوحدان امام الموت . هنا حيث لا مكان سوى لهذا النوع من المواجهة ، تنحل العلاقات ، وتعود بسيطة او مبسطة . لذلك يأخذ الشكل الجديد في هذه الرواية بعدا شكليا — ولا نقول مجانيا — لان شكليته ليست صفة لشكله . بل هي الشكل نفسه ، وقد حاول فتح منفذ للرؤية

---

* يوسف الصائغ : **المسافة** . منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ١٩٧٤ .